

## اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين

أ.د. محمود فهمي حجابي

يرتبط مستقبل اللغة بالأمة، فاللغة ترقى بجهود أبنائها، والجانب اللغوي جانب مهم من جوانب التنمية الشاملة في الأقطار العربية. ويتطلب التخطيط لمستقبل اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين الانطلاق من أبعاد الواقع العربي والنظر في موقع العربية بين اللغات العالمية، مع الاستفادة الكاملة من التقنيات الحديثة في عصر المعلومات، ورسم ملامح المستقبل في ضوء التجارب المحلية والوطنية والقومية في دول العالم، للأخذ بكل ما يتيح للغتنا العربية مكانتها المنشودة في عالم متغير وقوى متنافسة وتقنيات متقدمة. والقضية المحورية في هذا الصدد تكمن في الإيمان بأهمية التنمية اللغوية العربية والأخذ بالوسائل والطرائق لتحقيقها.

### أولاً: التنمية اللغوية :

مصطلح التنمية من أكثر المصطلحات استخداماً عند المتخصصين في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التي تتناول الدول النامية، وهو مصطلح جديد نسبياً في الدراسات اللغوية. وتتنوع البحوث المختلفة في التنمية من حيث درجة التركيز على البناء الاقتصادي أو على بنية المجتمع أو على النظام الإداري، ولكنها تتفق في تمييز مفهوم «التنمية» عن مفهوم «التغيير». التنمية ليس مجرد تغيير تدريجي وفق الأنماط التقليدية، ولكنها عملية مجتمعية واعية

هادفة إلى إيجاد التحولات المنشودة. وبهذا المعنى يستخدم مفهوم التنمية - أيضاً - في علم اللغة الاجتماعي.

يختلف مفهوم التنمية اللغوية عن مفهوم التغير اللغوي في أن التنمية اللغوية عملية واعية هادفة إلى إحداث تغير محدد منشود، وليست مجرد رصد لتغيرات لغوية، ولهذا ينبغي عدم الخلط بين تلك البحوث ذات الصبغة التاريخية الهادفة إلى رصد التغيرات اللغوية في لغة واحدة أو في عدة لغات أو في اللغة الإنسانية بصفة عامة، وتلك الجهود الهادفة إلى إحداث تغيرات في المستقبل. إن التنمية اللغوية موضوع مهم في إطار الاهتمام المتزايد بالقضايا اللغوية في الدول النامية، وفي علم اللغة الاجتماعي بصفة خاصة. وثمة قضايا كثيرة يتناولها البحث، منها: تعدد اللغات داخل الدولة، سياسات لغة التعليم، اللغات بوصفها رموزاً لذاتية الجماعة وعلى الرغم من تنوع مصطلحات هؤلاء الباحثين فإنهم يجعلون تحول المجتمع من مجرد الاستخدام المنطوق للغة في الحياة اليومية البسيطة إلى تدوينها للأغراض المختلفة بداية أساسية للتقدم. أما المصطلحات فالحاجة إلى تنميتها للوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة ينبغي أن تكون على قواعد ثابتة تحظى بالقبول عند أبناء اللغة. وتعد التنمية اللغوية ضرورة دائمة، فالحياة متغيرة، ومن ثم يتطلب التعبير عنها توسيعاً متجدداً لمفرداتها ويتطلب أيضاً تقنين هذا الجديد وتدوينه على النحو [الذي] يحظى بالقبول بين أبناء اللغة. إن عمل مجامع اللغة العربية كبير في كل هذه المجالات، فقد بحثت تيسير الكتابة وطرائق وضع المصطلحات في ضوء معايير واضحة تنطلق من تراث العربية وتنشد تلبية الحاجات المعاصرة. التنمية اللغوية لها جانبان، أحدهما خاص باللغة نفسها من حيث تنميتها الموحدة للتعبير عن الحضارة المعاصرة، والثاني خاص

بإيجاد الخطة اللغوية الهادفة إلى جعل هذه الجهود فعالة في المجتمع، فالمصطلح الموحد الحديث يجعل التواصل اللغوي سهلاً وفعالاً ودقيقاً.

من الضروري من أجل تحقيق التنمية اللغوية على المستوى العربي التوصل إلى التوحيد المعياري، وهو مصطلح تكون في مجال الصناعة وانتقل منه إلى علم اللغة التطبيقي، فاللغة - أيضاً - وسيلة وليست غاية. لا يقتصر التوحيد المعياري اللغوي على المصطلحات، ولكنه يتناول كل قطاعات اللغة. عرف فيرجسون التوحيد المعياري اللغوي بأنه «عملية جعل» نوعية معينة من اللغة تصبح مقبولة إلى حد بعيد في داخل الجماعة اللغوية على أنها معيار فوق اللهجات وأنها الشكل «الاسمي» من اللغة. ويتضمن مفهوم التوحيد اللغوي المعياري - أيضاً - أن الأشكال اللغوية المختلفة للتوحيد المعياري تتحرك نحو حالة مثلى يكون فيها المعيار الواحد مقبولاً على مستوى عريض مع شعور بأنه - مع تعديلات طفيفة - يناسب كل الأغراض التي يعبر عنها باللغة. وقد حققت الدول الوطنية الأوربية درجة عالية من التوحيد اللغوي المعياري في داخل المنطقة اللغوية الواحدة، وذلك عندما أصبح المعيار اللغوي معتمداً على لغة الطبقة المثقفة، وعلى استخدام الكتاب والمؤلفين فأصبح نموذجاً يحتذى وأصبحت اللغة المعيارية الموحدة رمز الانتماء الوطني أو الذاتية الوطنية. ولكن التوحيد المعياري في العربية يقوم على أساس استمرار اللغة وتنمية رصيدها من المصطلحات على أسس لا تقطع صلتها بالتراث وتلبي الحاجات المعاصرة. تتضمن فكرة التنمية اللغوية - أيضاً - عملية «التحديث» والمقصود بها «عملية اللحاق بالجماعة العالمية من اللغات التي يزيد النقل بينها والمعترف بها بوصفها أدوات مناسبة للأشكال الحديثة من الحوار». وهذا التعريف لا يقتصر على اللغات المعاصرة في الدول

النامية في محاولة تنميتها لتصبح معبرة عن حضارة العصر، فهو يصدق أيضاً على لغات بعض الجماعات الأوربية مثل اللغة المجرية عندما حاول أبنائها في القرن التاسع عشر تنميتها لتصبح في مستوى اللغة الألمانية التي كانوا يتعاملون بها حتى ذلك التاريخ في المجالات العلمية. وينطبق هذا التحديد - أيضاً - على اللغات الأخرى عندما يحاول أبنائها استكمال معجمها لكي لا يكون فيها قصور في مصطلحات توجد في لغات أخرى.

يرتبط تطبيق التوحيد اللغوي المعياري والتحديث بقضية التخطيط اللغوي، لا تقتصر التنمية اللغوية على توحيد المصطلحات الحديثة وصنع المعجمات العامة والمتخصصة، ولكن القضية الأساسية - بعد ذلك - هي الاستخدام المطرد لهذه المصطلحات لدى القطاعات المعنية من المجتمع. القيمة الاجتماعية لهذه المصطلحات تكون عند استخدامها في الكتب المدرسية والجامعية وفي الدورات المتخصصة وفي الحوار بين المتخصصين. ولهذا كله فإن الدراسة المفصلة لعملية التخطيط اللغوي لا تقل في أهميتها عن التوحيد اللغوي المعياري والتحديث. يهتم بالجوانب المختلفة من التخطيط اللغوي المسؤولون عن التشريعات اللغوية في الدول التي تعنى بوضع ضوابط واضحة تحدد السياسة اللغوية في التعليم وفي الإعلام وفي الإدارة. والتخطيط اللغوي مجال عمل الجماع اللغوية والمؤسسات المسؤولة عن وضع المصطلحات، وهو كذلك الأساس العام الذي يقوم عليه عمل الخبراء اللغويين في المؤسسات الصناعية الكبرى وفي المنظمات الإقليمية والعالمية. وفوق هذا كله فإن من شأن التخطيط اللغوي أن يتابع القرارات المتصلة بذلك، ويحدد المراحل المختلفة التي اتخذها التنفيذ.

تتنوع طبيعة عملية التخطيط اللغوي باختلاف الظروف التي تمر بها



اللغة المعنية في داخل الدولة أو الدول التي يراد استخدام هذه اللغة في داخلها للتعبير عن الحضارة الحديثة والعلوم والتكنولوجيا. هناك فرق بين إعداد نظام جديد للغة لم تستخدم من قبل في المجالات العلمية، مثل أكثر اللغات المعاصرة وتنمية نظام قائم للغة لها تاريخ طويل في هذه المجالات مثل اللغة العربية. وكلاهما مختلف عن إيجاد نظام جديد يحل [محل] نظام قديم، مثل ما حدث في تركيا. ولهذا فالفرق واضح بين التخطيط اللغوي في منطقة ليس لها تاريخ علمي بلغتها، والتخطيط اللغوي في منطقة لها تاريخ علمي بلغتها مثل المنطقة العربية، وكلاهما مختلف عن ظروف أخرى تمر بها بعض الجامعات التي لها تاريخ علمي بلغة أخرى غير لغتها الوطنية. وهذه الأنماط المتعددة للتخطيط اللغوي مختلفة من حيث طريقة المعالجة، فليس من الحكمة عند تنمية المصطلحات العلمية العربية تجاهل التراث العربي العلمي أو تجاهل الجهود العربية الحديثة التي بذلت في مجال المصطلحات. ويقع في هذا الخطأ كثيرون ممن يتصورون أن فهمهم للمصطلحات الأجنبية كفيلاً بقدرتهم على صنع مصطلحات عربية فردية، فيأتون - دون إدراك لذلك في أكثر الأحوال - بكلمات مخالفة للعرف المستقر عند المتخصصين ومخالفة لما أقرته المجامع اللغوية، وهذا هو أحد الأسباب المؤدية إلى اضطراب كثير من الترجمات وتحولها إلى نصوص غير مفهومة. وفي الوقت نفسه فإن بعض الجهود التي تحاول إحلال مصطلحات جديدة محل مصطلحات متداولة عند المتخصصين تقع في خطأ آخر. ولهذا فإن طبيعة عملية التخطيط اللغوي في المنطقة العربية تدخل أولاً وقبل كل شيء في النمط الثاني، وهو تنمية نظام قائم للغة لها تاريخ علمي طويل. ومن ثم ينبغي الإفادة في مستقبل العربية لإتاحة هذا الرصيد العربي من المصطلحات وألفاظ الحضارة.

تتضمن المراحل الأساسية للتنمية اللغوية عدة مراحل في مقدمتها مرحلة «اتخاذ القرار السياسي»، وهنا ضرورة العمل العربي المشترك. ولا يمكن وضع خطة لغوية في أية دولة عربية دون اتخاذ قرارات واضحة تحدد السياسة اللغوية... وهذه القرارات ينبغي أن تراعي بطبيعة الحال العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتعد عملية اتخاذ القرار السياسي في التخطيط اللغوي من أكثر الموضوعات تعقيداً في داخل الدولة، وكثيراً ما يحدث تعارض في القوى والآراء ينتهي بحلول انتقالية مرحلية.

وفي أحوال كثيرة يكون القرار السياسي خاصاً باستخدام اللغة المعنية في قطاع محدد، مثل التعليم أو الإعلام أو الإدارة، تمهيداً لتوسيع دائرة التطبيق إلى المجالات الأخرى. وفي كل هذه الأحوال فالقرار السياسي الواضح والرشيد يكون بداية الخطة اللغوية السليمة.

والمرحلة الثانية في التنمية اللغوية هي مرحلة «وضع الضوابط»، يقوم بها اللغويون في المقام الأول بالتعاون مع متخصصين في فروع علمية أخرى. وقد وصفت هذه المرحلة بأنها عمل دائم متجدد في أكثر جوانبها، فالمصطلحات العلمية كثيرة ومتجددة، والمتغيرات اللغوية الاجتماعية تتطلب دراسات كثيرة لتحديد أنسب الوسائل في ظل الظروف السائدة. وعمل المجامع اللغوية والمؤسسات المماثلة المعنية لا يقتصر على النظر في مآنتجه من معجمات أو مجموعات مصطلحات، بل ينبغي أيضاً النظر في الأسس المنهجية للعمل في هذه المؤسسات. وهنا يكون تبادل الخبرة المنهجية على المستوى العالمي محققاً لمزيد من الوضوح في المنهج والتطبيق.

والمرحلة الثالثة في التنمية اللغوية هي «مرحلة التطبيق والتقييم». وهي مرحلة تدخل أساساً في مجالات التغيير المخطط للسلوك. والمؤسسات

التعليمية والإعلامية والإدارية هي - في المقام الأول - مجالات التطبيق، يضاف إليها أن كل جوانب الحياة العامة تحتاج في التعامل اللغوي إلى الوضوح. ولا يمكن تحقيق تغيير في السلوك اللغوي إلا في ضوء حملات إعلامية مكثفة. ولهذا كله تنجم ضرورة متجددة لدراسة مواقف المتلقين، ولسماتهم الثقافية ولما يفهم من وسائل التطبيق المختلفة ومدى تقبلهم للمصطلحات المقترحة. وهذا كله مجال للتقويم الدائم ولمعرفة مدى النجاح ولتحديد جدوى الوسائل المختلفة ولتصحيح المناهج. ومستقبل اللغة العربية على المستوى القومي مرتبط بوضوح الرؤية والتنفيذ المتدرج للتنمية اللغوية.

### ثانياً: التنمية اللغوية ولغة التعليم:

ارتبطت القضية اللغوية في الأقطار التي خضعت للاستعمار الأوربي بتحقيق الذاتية الثقافية الوطنية في مواجهة الحكم الأجنبي واللغات الأجنبية. كان من الطبيعي أن تكون من أهداف حركات التحرر العودة إلى اللغة الوطنية بوصفها رمزاً لتحديد الانتماء ولتحقيق الذاتية الوطنية. ولكن التنمية اللغوية ليست مجرد رغبة وطنية تتحقق بالاستقلال السياسي، ولكنها عملية مجتمعية متعددة الجوانب هادفة إلى تشكيل العلاقات اللغوية في داخل الدولة على نحو يحقق الفاعلية والتكامل والمعاصرة. يُعد التعليم المجال الأول للتنمية اللغوية، وفي السنوات الأولى من الاستقلال كان تعريب التعليم وتوسيع قاعدته وتحديثه أهدافاً مجتمعية أساسية. وقد ارتبطت عملية التنمية اللغوية في مجال التعليم بظروف تختلف إلى حد ما في كل دولة من الدول العربية. كان قيام التعليم الحديث في دول المشرق العربي عملية متكاملة تجاوزت الحدود الإقليمية للدول. وفي هذا الإطار لم يواجه تعريب التعليم قبل الجامعي في دول المشرق العربي سوى مشكلات لغوية جزئية. ومن ثم

سادت المصطلحات العلمية على نحو جعلها تكاد تكون موحدة. لم تواجه دول المشرق مشكلة في المصطلحات تحول دون استخدام العربية لغة للتعليم. وتم في أثناء الممارسة وفي مؤتمرات التعريب التغلب على القدر الأكبر من الاختلاف في المصطلحات العربية في مراحل التعليم العام. غير أن مكان العربية في التعليم العالي في دول المشرق العربية ارتبط إلى حد كبير بظروف إنشاء الجامعات العربية وبنظمها التي تكونت في سنواتها الأولى. ظلت الجامعات السورية نمطاً فريداً في تدريس كل التخصصات باللغة العربية، وسادت في الجامعات العربية الأخرى ثنائية في لغة التعليم. كان التدريس في كليات الآداب والحقوق والتجارة يتم باللغة العربية. أما التدريس في كليات العلوم والطب والهندسة فكان يتم باللغة الإنجليزية.

وتوجد الازدواجية في لغة التعليم قبل الجامعي في أكثر المدارس في لبنان وفي مدارس اللغات في مصر وفي المدارس الحكومية في دول المغرب: تونس والجزائر والمغرب. وهذه الازدواجية قائمة بين العربية واللغة الفرنسية في أكثر الحالات، وهي بين العربية والإنجليزية في عدد من مدارس اللغات في مصر ولبنان. ولكن الموقف من لغة التعليم تغير بمضي الوقت، وأصبحت مدارس كثيرة تدرس المواد العلمية بغير اللغة العربية. يزعم مناهضو التعريب أن الاستقلال السياسي يتحقق بوسائل مختلفة، ولكنه لا يكون في اللغة أو الثقافة أو العلم. الفكرة الكامنة وراء ازدواجية لغة التعليم في عدد من الدول العربية أن التعريب ينبغي أن يكون شاملاً، ومن هنا ضرورة التنمية اللغوية على المستوى العربي في الإدارة والتعليم والإعلام، مع تحديد موقع واضح للغة الأجنبية. والتعريب الشامل بهذا المعنى يشمل تعريب التعليم وتعريب الثقافة وتعريب المجتمع، وليس من الصواب أن يعرب



التعليم وحده فيُعزَلُ المعرَّبون عن الإدارة والعلم والثقافة. نهجت دولتنا المغرب وتونس نهجاً يقوم على الاحتفاظ باللغة الفرنسية مع التعريب في الوقت نفسه. وفي هذا الصدد يلاحظ بعض دعاة الازدواجية أن محاولة التعريب الكامل للتعليم على النحو الذي طبق في المغرب بعد زوال الحماية عن طريق المدرسين المتخرجين في جامعة القرويين والمدارس الإسلامية لم تنجح لعوامل كثيرة، لا تتصل باللغة ولكنها خاصة بجوانب تعليمية وثقافية وإدارية. وبعد استقلال تونس (١٩٥٦) وتطبيق خطة لتعريب التعليم (١٩٥٨ - ١٩٦٧) تحولت السياسة اللغوية إلى نظام تعليمي يعتمد لغتين في التدريس. وفي كل هذه السنوات ظلت اللغة الفرنسية لغة الإدارة والمعاملات الاقتصادية ولغة الثقافة الحديثة، ولهذا كان التعليم المعرب معزولاً عن باقي المؤسسات الحكومية فأدى هذا التناقض إلى فرص عمل أقل للطلاب الذين تكونوا في الشعب المعربة والمزدوجة اللغة، وأصبح الطريق إلى الرقي الاجتماعي والوظيفي مقصوراً على أصحاب اللغة الفرنسية من أبناء البلاد. أما في التعليم العالي في دول المغرب فقد استمرت اللغة الفرنسية سائدة في أكثر التخصصات العلمية والطبية والهندسية، على الرغم من أن الجامعات الجزائرية تسمح بتعليم العلوم في المستوى الجامعي باللغة العربية. واستمرار الفرنسية على هذا النحو مرتبط - في المقام الأول - بكون عدد كبير من أساتذة الجامعات في تلك الدول قد تكونوا باللغة الفرنسية واستمرار ارتباط هذه الجامعات بالجامعات الفرنسية عن طريق تبادل الأساتذة. ولهذا فإن القرارات الخاصة بتعريب التعليم العالي لا تجد بالضرورة التنفيذ الكامل. مشكلة قلة المتخصصين المعربين القادرين على التعامل باللغة العربية أدت إلى عدم تنفيذ كثير من القرارات الخاصة بالتعريب، هذا إلى جانب المقاومة الشديدة التي يبديها أصحاب الثقافة

الفرنسية لكي يحافظوا على وضعهم الاجتماعي والوظيفي المتميز. والمستقبل اللغوي لدول المغرب أخذت ملامحه تتضح فقد بدأ اهتمام جديد ومتزايد بالإنجليزية، وهنا يكون من المتوقع ازدياد قوة المنافسة بين الفرنسية والإنجليزية واتخاذهما المكان المناسب بوصفهما لغتين أجنبيتين، والسنوات القادمة كفيلة بموقف لغوي جديد، والأمل كبير أن يرتبط ذلك بأن تقوى العربية لتكون اللغة الوطنية واللغة الرسمية الكاملة، وأن يكون استخدامها في مجالات متزايدة.

الدول العربية ذات الوضع الثقافي الخاص هي الدول التي توجد فيها إلى جانب العربية لغات أخرى وطنية أو محلية. يضم العراق جماعات لغوية غير عربية، أكثرها في المناطق الشمالية وفي مقدمتهم جماعات الأكراد والتركماني، يعيشون في إطار دولة عربية. أما الجماعات اللغوية الأخرى في العراق مثل الآراميين (الكلدان والآثوريين) فإن اللغة العربية تصلهم بالتعليم والإدارة وبالحياة العامة في العراق، وهم بذلك حريصون على تعلمها. تضم اليمن في المنطقة المتاخمة لعمان جماعات المهرة، وهؤلاء يتعاملون مع الآخرين باللغة العربية، ويقبلون على تعلمها بالقدر الذي تسمح به ظروفهم. تضم جمهورية السودان نحو مئة من اللغات المحلية، أكثرها في الجنوب وقد حاولت السلطة البريطانية عزلهم عن التعامل مع شمال السودان، ومع هذا ظل التعامل المباشر بين أبناء القبائل الجنوبية يتم في حالات كثيرة بالعربية الهجينة. ولكن الوضع اللغوي في أقاليم جنوب السودان بعد الاستقلال لم يتح للعربية مكانها اللائق في المؤسسات التعليمية بسهولة، كانت هناك حركات مناهضة، واستمرت الإنجليزية في الإدارة والتعليم. وفي بعض التخصصات في الجامعة الناشئة في مدينة جوبا. أما

دول المغرب وخصوصاً الجزائر والمغرب وموريتانيا فتضم جماعات لغوية أمازيغية (بربرية) يتجاوز عددها نحو ربع أبناء البلاد. والمشكلة اللغوية في هذه المناطق تتمثل في ذلك التعدد، هؤلاء يتعاملون في داخل الجماعة بلغتهم المحلية، ووسيلتهم في التعامل مع مواطنيهم العرب هي العامية المغربية، والتعليم السائد يتم باللغة الفرنسية، وهم مطالبون بعد هذا بالعربية الفصحى. وفوق هذا كله فإن دولة الصومال ودولة جيبوتي تنتميان إلى جامعة الدول العربية، وعلى الرغم من وجود اللغة الصومالية في الصومال ولغتين محليتين في جيبوتي فإن الرغبة في التعريب تتطلب مراعاة لهذا الوضع الثقافي الخاص. ويتطلب تشكيل ملامح المستقبل اللغوي للمناطق ذات الوضع الثقافي الخاص دعم تعليم العربية بكل وسائل الترغيب والحفز المعنوي، وذلك من أجل تكامل هذه المناطق في نسق دولها وفي الإطار العربي.

فوق هذا كله، فإن الموقف النفسي من اللغة العربية في بعض الأقطار يتطلب عملاً مخططاً. اللغة العربية في تصور بعض الفئات أصعب لغات الأرض، وفي رأي فئات أخرى لغة الأدب القديم فقط، وفي ظن جماعات أخرى لغة الماضي وحسب ولا صلة لها بالحاضر، وفي رأي جماعات محددة لغة الحكم العربي لإفريقية، وفي رأي فئات أخرى لغة مدرسي اللغة العربية وليست لغة الحياة. وهذه المواقف - وإن كانت تجد تبريراً ناقصاً - فإنها تمثل موقفاً نفسياً عند فئات غير قليلة، وتمثل حقائق جزئية مبتورة وغير كاملة الملامح، ولا تفيد في إطار التنمية اللغوية وفي تشكيل المستقبل اللغوي. يتطلب الموقف الجديد تأكيداً قومية اللغة العربية بالنسبة لأبنائها وعالميتها بالنسبة لأبناء أقطار كثيرة في إفريقية وآسيا. يتطلب الموقف الجديد تنمية اللغة العربية

بشكل قوي لتلبية المتطلبات المتغيرة للحضارة المعاصرة. يتطلب الموقف الجديد دعم ثقة المواطن العربي في لغته وإزالة شوائب التحفظ تجاه العربية لدى بعض مواطني دول الجوار في الدول غير العربية. وترسيخ الوعي بأن العربية ليست مجرد مادة دراسية لدراسة الأدب القديم، بل هي - أيضاً - وسيلة العلم الحديث والثقافة المعاصرة في كل أفرعها واتجاهاتها. الموقف من اللغات الأجنبية يتطلب وضوحاً أكثر. ليس من اللائق أن تعد لغة أجنبية مثل الإنجليزية أو الفرنسية بمنزلة اللغة الثانية المنافسة للعربية في داخل الدولة. ولكن تعليم لغة أجنبية واحدة أو أكثر أصبح ضرورة متزايدة، وعدم مراعاة ذلك يحول دون فرص كثيرة في الرقي العلمي والاجتماعي. وعلى المواطن العربي في المستقبل أن يتقن العربية لأغراض الحياة كلها، ويثري حياته من خلال الروافد المعرفية الأجنبية.

### ثالثاً: التنمية اللغوية وتعليم اللغة الوطنية:

اللغة نظام متكامل، وتعليم اللغة يهدف في المقام الأول إلى تنمية المهارات اللغوية المختلفة بشكل متوازن، وعلى النحو الذي يتيح الدقة في الفهم وفي التعبير، ويحقق الصحة اللغوية المنشودة. ولهذا كله، فإن هدف تعليم اللغة العربية بوصفها لغة وطنية يتجاوز الاهتمام بجانب معرفي أدبي أو ثقافي على حساب الجوانب مهارية اللازمة للتعبير في كل مجالات الحياة. وتتفق هذه الفكرة في الوقت نفسه مع نظم جديدة في الامتحانات تعنى بجوانب شتى من اللغة بوصفها هدفاً تعليمياً أساسياً، فيها: التلخيص والتعبير والضبط والفهم. والتخطيط الدقيق والتنفيذ الجاد للمنهج والكتاب وطرق التدريس والتقويم منطلقات أساسية لتطوير تعليم اللغة العربية، اللغة العربية هي السمة الأولى للانتماء في الدول العربية، لكل أبنائها من المسلمين



والمسيحيين، والعناية بها أساس لتكوين الشعور بالمواطنة عند كل أبناء البلاد. تختلف اللغة الوطنية عن اللغات الأجنبية من حيث وزنها بالنسبة لباقي المواد، وفي بعض دول العالم نجد اللغة الوطنية وآدابها مادتين كاملتين إحداهما للغة والثانية للأدب، ولهما وزن كبير من حيث الدرجات المخصصة لهما، ويؤدي هذا الأمر إلى اهتمام التلميذ بهما لأنه حريص على الحصول على مجموع كبير. وفي هذا الصدد فإن تأليف الكتب عمل جاد، وليس من الأعمال الجانبية العابرة، ولذا فقد آن الأوان أن تعد هذه الكتب على مستوى رفيع، كانت الكتب المدرسية لمادة اللغة العربية في مصر على مستوى العصر عندما كانت مشاركة الأعلام فيها واضحة. وفي إطار التقدم الذي تحقق في علم اللغة التطبيقي وطرق تدريس اللغات الحية والوسائل التعليمية والتقويم أصبح تكامل العمل ضرورياً من أجل كتب مناسبة. إن المادة اللغوية المقدمة في كتب مادة اللغة العربية تحتاج إلى درجة عالية من التدقيق في الاختيار، وذلك في ضوء الأهداف المنشودة من هذه المادة. وإذا كان الهدف الأول أن يتمكن التلميذ من الاستخدام المعاصر للعربية فهماً وقراءةً وتحديثاً وكتابةً فلا يجوز أن تكون المادة بعيدة عن فصحي العصر وعن المتطلبات اللغوية للمثقف العربي من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولا يجوز الاقتصار على القراءة والفهم لنصوص الأدب، والابتعاد عن تحقيق الأهداف المباشرة من تعلم اللغة للتعبير عن الحياة المعاصرة.

المؤسسات المعنية ببحث العربية وتنميتها وفي مقدمتها المجمع اللغوية سيكون لها دور أكبر في مستقبل العربية. لقد بذلت مجامع اللغة العربية منذ أكثر من نصف قرن جهوداً هادفة إلى تلبية الحاجات المعاصرة. ومنها وضع الأسس العامة لتيسير النحو. والأسس العامة لقواعد الإملاء، وقرارات

أصول اللغة والألفاظ والأساليب. وهناك بحوث أساسية في الجامعات العربية تناولت بنية اللغة وتهتم ببحث الأبنية الصرفية وأنماط الجملة العربية وقضايا الدلالة. ومن الأهمية بمكان أن تكون هذه الأعمال في مؤسسات متخصصة في البحث اللغوي لمتابعة الجديد وحل مشكلات التطبيق، تتناول تحديد أنماط الجملة العربية الشائعة في مستويات النصوص العربية، وتحديد البنية الصرفية الشائعة في النصوص العربية، وتعرف القضايا اللغوية المعاصرة، وتحليل الأخطاء اللغوية عند التلاميذ، وتطوير الوسائل المؤدية إلى مزيد من إتقان العربية في مستويات التعليم والحياة والعلم والإدارة والترجمة. وأن يعطى هذا العمل أولوية عند وضع الخطط البحثية، على أن توضع التجارب العالمية في تعليم اللغات في الاعتبار.

وسائل تعليم اللغة العربية ستتخذ ملامح جديدة، الكتاب المدرسي جزء من الوسائل في تعليم اللغة العربية. ومن الضروري تنمية الوسائل الأخرى لصقل المهارات اللغوية ومنها: الصحافة المدرسية، الإذاعة المدرسية، الخطابة والإلقاء، الأفلام التعليمية، مسابقات القراءة، الجمعيات المدرسية. أما المعينات الحديثة ومنها برامج الحاسوب فلها مستقبل كبير في النهوض بالعملية التعليمية. وإذا كانت معينات العلوم واللغات الأجنبية تنتج في عدة مواقع بالخارج، فإن المعينات الحديثة في تعليم مادة اللغة العربية لا تنتج في تلك المؤسسات، ومن الضروري عمل برامج متكاملة تغطي موضوعات كاملة. وفي هذا الصدد فإن هناك مجالات للتعاون لإنتاج منظومة متكاملة من البرامج على أساس قطاعات مختارة، وبأسلوب لا يقل عن مستوى الإنتاج التلفزيوني لأفلام التسلية والترفيه.

وفي هذا كله فإن القراءة ليست مجرد مادة معرفية تقدم للتلاميذ، بل

لها أهداف لغوية وثقافية متكاملة، وإذا كان المنهج من خلال الاختيارات متحيزاً لجانب معين تتكون عند التلاميذ علاقة ارتباط بين اللغة والمحتوى الثقافي المقدم. إن العربية ليست لغة الجاهلية وصدر الإسلام وحسب، بل هي لغة الحضارة الإسلامية واللغة التي ألفت بها - أيضاً - أبناء مصر والشام والعراق في إطار الحضارة العربية الإسلامية. والعربية - بعد هذا كله - اللغة التي تربط الدول العربية الحديثة وتحقق وحدة الثقافة وهي سمة الانتماء، وهي اللغة التي نريد أن نعبر بها عن الحضارة المعاصرة وعالم القرن الحادي والعشرين. إن تنمية القدرة على القراءة السريعة وتبين الأفكار والتلخيص الجيد من أهم ما يهدف إليه تعليم اللغة القومية، ويتحقق هذا من خلال العناية بالقراءة لتنمية الثروة اللغوية عند الدارسين مع التركيز على الألفاظ المستخدمة في لغة العصر، لتنمية القدرة على القراءة السريعة والتلخيص والتحليل والتركيب والتقويم. وفي هذا الصدد فإن النصوص والقطع المختارة في كتب القراءة والأدب ينبغي أن تعطي صورة مشرقة للتراث العربي، وليس ثمة مادة أخرى تصل التلميذ بتراثه التاريخي أو العلمي أو الفكري.

في إطار التقدم في التقنيات الحديثة أصبح تقديم اللغة منطوقة أمراً متاحاً، وهذا التقدم من شأنه أن يتجاوز قصور الأداء اللغوي عند بعض المدرسين الذين لا يهتمون بالاستخدام الدائم للغة العربية الصحيحة في أثناء العملية التعليمية. هناك مدرسون لا يستطيعون الاستخدام الكامل للغة العربية في الفصول، أكثرهم يستخدمون خليطاً من المادة المقررة مع العامية ويستشعرون درجة من الغرابة في أن يكون الدرس بلغة فصيحة منطوقة معاصرة ومعبرة. ولذا فقد يكون المناسب أن تعد تسجيلات صوتية دقيقة بكل المادة التعليمية المقررة، لتكون عوناً للمدرس والتلميذ ولكي يألف

التلميذ الاستخدام الكامل للعربية في عرض المادة التعليمية. إن مواد الجغرافيا والتاريخ والتربية الدينية تدرس باللغة العربية، ولكن الجانب اللغوي في أداء المدرس ليس موضع اهتمام. وهناك تصور سائد بعدم مسؤولية للمدرس عن الأداء اللغوي السليم بالعربية، فيكون التدريس خليطاً بين مادة تعليمية مطبوعة بالعربية وشرح بعبارات عامية. وقد قامت دول كثيرة - نجحت في النهوض بلغتها القومية - بتنمية مستوى الاستخدام اللغوي في داخل الفصول، وهذا أمر ضروري في هذه المواد حتى تصبح العربية أداة حقيقية يدرك التلميذ كونها وسيلة التعبير عن العلم والحياة المعاصرة.

إن الجوانب اللغوية ليست مقصورة على قواعد الإعراب والتصريف، وينبغي أن يتقن التلميذ الجوانب اللغوية الأساسية: النطق، بنية الكلمة، النهايات الإعرابية، تركيب الجملة، قواعد الإملاء والترقيم، الدلالات الدقيقة المعاصرة للألفاظ والتراكيب. إن تدريس قواعد اللغة العربية وسيلة وليس غاية، والغرض منها الفهم السليم والتعبير الصحيح في الكتابة والحديث، ومن ثم فيرتبط مدى النجاح بما يصل إليه الدارس من مستوى في الاستخدام الصحيح. وإن تحويل تعلم اللغة، وهو أمر متعدد الجوانب، إلى قواعد نحوية بأمثلة مصنوعة مبسطة بعيدة عن المستويات المعاصرة للعربية. وتقديم هذه القواعد بطريقة لا تتيح للتلميذ إلا قدرًا من التوظيف الفعال لها يجعلها ويحولها إلى مجرد فرع معرفي ومادة تعليمية تقتصر قيمتها على درجتها القليلة في الامتحان، ودون أن تتجاوز أهميتها باقي فروع المادة أو المواد الأخرى أو التكوين اللغوي للإنسان المعاصر.

يتصل بموضوع اللغة القومية والتعليم ما يسمى حالياً باسم محو الأمية. ومن الخطورة بمكان أن تدخل الأمة العربية القرن الحادي والعشرين



بملايين من الأميين يكاد يقترب عددهم في بعض الدول العربية من نصف عدد المتعلمين. هنا مكمّن الخطورة. التنمية اللغوية ينبغي أن تكون مستوعبة لأبناء الأمة كلها، ولا يمكن أن تظل مشكلة الأمية مبرراً لتدني مستوى لغة الإعلام أو لغة الإدارة أو لمستوى الحياة. القضية لا تتصل بالقدرة الأساسية على القراءة والكتابة، ولكنها قضية استخدام اللغة وسيلة للمعرفة المتجددة والنامية. ومن هنا فإن استيعاب الدولة لجوانب الحياة يتطلب التعامل المكتوب باللغة. والمطبوعات الثقافية والمعرفية والمهنية البسيطة باللغة العربية ستصبح مطلباً مهماً في المستقبل، ويقوم بطبيعة الحال على أساس كون كل الأفراد يمارسون القراءة والكتابة.

#### رابعاً: التنمية الدائمة للمصطلحات الحديثة:

تتطلب التنمية المتجددة للمصطلحات متابعة منظمة لكل جديد، ووضع المقابل العربي المناسب وإتاحة ذلك للمستفيدين في كل أقطار العربية بسرعة وكفاءة ودقة، ويعد قيام بنوك المصطلحات أهم التحولات المعاصرة في مجال ضبط المصطلح العلمي وتخزينه واسترجاعه. بنك المصطلحات وسيلة فعالة لحزن المصطلحات مصحوبة بالمعلومات الأساسية عن كل مصطلح مفرد. ويمكن استرجاع هذا المصطلح وحده أو مع غيره وفقاً للبرنامج المتبع في كل بنك من بنوك المصطلحات. بنوك المصطلحات - أيضاً - باسم بنوك المعطيات المصطلحية، وذلك لا يقتصر على المصطلحات ولكنه يدخل - إلى جانب كل مصطلح - معلومات أساسية عن مقابله أو مقابلاته ومجاله أو مجالات استخدامه، ودرجة التقنية ونوعية النصوص التي ورد فيها. وهذه المعطيات تختلف في تفاصيلها من بنك مصطلحات إلى آخر، ولكنها ضرورية لتقديم المصطلح مع مايسر للمتلقي النظر فيه والإفادة منه.

•

قامت أكثر هذه البنوك لأهداف نوعية محددة، ارتبطت تأسيسها بتلبية حاجة المترجمين المتخصصين إلى المصطلحات الكثيرة المتجددة. ثمة فرق بين بنوك المصطلحات ذات الأهداف المباشرة الهادفة إلى مساعدة المترجمين من جانب، وبنوك المصطلحات ذات الأهداف العلمية من الجانب الآخر، وكلاهما له أهميته. ومن الممكن الاستفادة من الخبرة المكتسبة منهما عند التخطيط لإنشاء بنك عربي للمصطلحات. يتضح هذا الفرق في طبيعة العمل وشكل ما يصدر عن بنوك المصطلحات من مادة مطبوعة. إن المطبوعات التي تصدر عن بنوك المصطلحات التي ارتبطت بإنشائها بمعاونة المترجمين تقدم معلومات عن المعطيات المصطلحية لكل مفهوم أو منظومة من المفاهيم. تجمع هذه المعطيات، ويدقق فيها، وتنسب بوصفها وحدات مستقلة إلى أقسام فرعية من المجالات المتخصصة في إطار تصنيف توثيقي. وقد أثبتت هذه المناهج - في الواقع - مناسبتها لأهداف الترجمة، كأن يطلب المترجم مقابلات لكلمات يحددها في النص الذي يترجمه، فيقدم بنك المصطلحات له قائمة المفردات باللغة المصدر واللغة المنشودة، وفي هذا دون شك عون كبير للمترجمين ولا سيما في نقلهم نصوصاً تخصصية. ولكن هذه الطريقة لا تلبى متطلبات البحث العلمي في مجال المصطلحات، حيث ينبغي تحديد العلاقات بين المفاهيم حتى يمكن تحديد العلاقات بين المصطلحات، وذلك في ضوء نظرية المجالات الدلالية والنظرية العامة لعلم المصطلحات. وهنا تكون قائمة المفردات مع المقابلات غير وافية ببيان هذه العلاقات المحددة للمفهوم ولدلالة المصطلح، ولا بد من التعريف والإشارة إلى علاقات المصطلح بغيره في المجال الدلالي نفسه.

تؤدي بنوك المصطلحات دوراً مهماً في الترجمة التخصصية،

فالمصطلحات العلمية والتقنية تزيد مع التقدم زيادة مطردة. تقدم بنوك المصطلحات للمترجم المصطلحات المقننة التي ينشدها، ولهذا فهي تعتمد على مصادر موثوق بها، شأنها في ذلك شأن الأعمال المعجمية المعيارية، فهي لا تضم إلا الكلمات الصحيحة من حيث البنية، وتشرحها شرحاً يوثق به. فيعد كل منها حجة في اللغة. تعتمد بنوك المصطلحات على مصادر يوثق بها، ومنها الكتب العلمية لكبار المتخصصين، والمصطلحات المعتمدة في الجامعات اللغوية والأكاديميات العلمية والتنظيمات المهنية والمنظمات الدولية. ويؤدي القصور في هذه المصادر إلى اعتماد هذه البنوك على ما يعده المتخصصون بالتعاون مع اللغويين المصطلحيين.

وبمضي الوقت وزيادة الرغبة في الدقة والفاعلية نجمت الحاجة إلى بنوك معطيات مصطلحية لأغراض البحث العلمي. وهذه البنوك ترتب المصطلحات على أساس تصنيفها في مجموعات تنتظم في إطار تصنيف مقنن، المصطلح الواحد لا يوجد مفرداً، ولكنه جزء من نظام المفاهيم في المجال التخصصي، ويضم المدخل الواحد كل عناصر المعلومات المهمة عن المصطلح، ومنها علاقته بالمصطلحات الأخرى، وانطلاقاً من هذا، فإن المفاهيم والمصطلحات لا تخزن بوصفها عناصر مفردة على نحو يفصل كل مصطلح عن الآخر فصلاً كاملاً، ولكنها تخزن مترابطة في مجموعات، كما هي الحال في عمليات التفكير العادية. ويتطلب إنشاء بنوك المصطلحات من هذا النمط المتقدم إيجاد نظام واضح ومفصل وصالح للتطبيق.

سواء أكان بنك المصطلحات هادفاً في المقام الأول إلى الترجمة، أم إلى البحث العلمي فإن إعداد المعطيات الموثوق بها وتسجيلها مرحلة أساسية تتطلب نفقات باهظة تتضاءل إلى جانبها نفقات الحصول على الحاسوب.

اللغات العالمية الكبرى محدودة، فلو أعدت المعطيات المصطلحية في مجال صناعة محركات السيارات باللغة الإنجليزية وفقاً لنظام مقنن وتصنيف واضح للمفاهيم وعلاقتهاها وللمصطلحات وعلاقتهاها فإن هذا العمل الأساسي يمكن الاستفادة منه في البحث عن المقابلات باللغة الهدف. وإذا كان العمل الأساسي في تحديد المفاهيم وعلاقتهاها وتعريفها قد تم في بنك المصطلحات في دولة ما، فليس ثمة مبرر للقيام بالعمل نفسه في موقع آخر. ومن الممكن أن يبنى على العمل الأساسي الواحد سلسلة من الأعمال لإيجاد المقابل في لغة أخرى دون أن يكبد كل بنك مصطلحات نفسه كل مراحل العمل.

إن التعاون الدولي في بنوك المصطلحات يتخذ في المقام الأول شكلين محددين، هما تبادل المعطيات وتبادل الخبرة. يتطلب تبادل المعطيات توحيد نظام المكونات، ولهذا يقوم مركز المعلومات الدولي للمصطلحات في فيينا بتنظيم اجتماعات على مستوى الخبراء لوضع أسس تدوين المعطيات المصطلحية وبحثها واسترجاعها. وتبادل الخبرة يتضمن - في المقام الأول - تنظيم اجتماعات لمديري بنوك المصطلحات، تعقد بصورة دورية منظمة. وفي هذه الاجتماعات تناقش - أيضاً - برامج العمل وتعمق طرق التعاون. وفي المنطقة اللغوية العربية ينبغي أن يكون العمل في ضوء الخبرة العالمية. فليس ثمة جدوى من تكرار أعمال أساسية منجزة في بنوك المصطلحات الأخرى.

وبعد فإن إنشاء بنك عربي للمصطلحات ضرورة معاصرة، ليس من أجل توحيد المصطلحات المتعددة حالياً فحسب، بل من أجل حماية اللغة العربية والأمة العربية من أدران اللغات العلمية المحلية في الأقطار العربية. إن



المفهوم العلمي الواحد ينبغي أن يعبر عنه بمصطلح واحد، ولكنه يترجم في عدة مواقع ترجمات مختلفة، فإذا استقر مصطلح ما في دولة عربية واستقر مصطلح آخر في دولة عربية أخرى، وأخذ كل فريق في الدفاع عن صحة مصطلحه، فإننا أمام بداية تعدد اللغات العلمية العربية، وقد نبه لغويون وعلميون إلى خطورة هذا الأمر. وإذا كان مكتب تنسيق التعريب قد قام من أجل توحيد المصطلحات المتعددة القائمة فإن معالجة المصطلح الواحد قبل أن يصبح مشكلة موضوع جدير بأن يكون موضع الاهتمام، وذلك عن طريق بنك مركزي للمصطلحات العربية، تلتقي فيه وتنهل منه كل الجامعات والوزارات والمؤسسات العامة ووسائل الاتصال الجماهيري ويعتمد عليه المترجمون والباحثون والمؤلفون وغيرهم.

#### خامساً: استخدام الحروف العربية في التعليم ونظم المعلومات الحديثة:

انتهى عهد المطالبة بأن نستبدل بالحروف العربية حروفاً لاتينية، ومر تطوير الكتابة العربية وتيسيرها لأغراض الطباعة بمراحل ناجحة، ودخلنا عصر الحاسب الآلي ونظم المعلومات. وتطور شكل الحرف العربي في هذه الآلات تطوراً بعيد المدى تجاوز الأشكال الشائبة التي كانت في بداية عهد الحاسوب، وأصبحت الأشكال الجديدة للحروف في الحاسوب أقرب إلى الذوق العربي وتحقق درجة عالية من جماليات الكتابة العربية. ومستقبل البحث في الحروف العربية وتطويرها للاستخدام في الحاسوب سيحقق مزيداً من الوضوح القرائي والتمييز الطباعي والجمال الشكلي وإمكان الضبط بالحركات.

أما في مجال تيسير الحروف العربية لأغراض التعليم، فكان منطلق تجربة الجهاز العربي نحو الأمية وتعليم الكبار أن مشكلة رسم الحروف\*

والكلمات مشكلة تعليمية، ولها بالضرورة أبعادها الاجتماعية والاقتصادية، فإذا كانت صور الحروف العربية محدودة العدد فإن عدد الوحدات الكتابية التي يراد تعلمها يكون أقل، وبالتالي فهو أبسط، الأمر الذي يجعل تعلم القراءة والكتابة لا يستغرق وقتاً طويلاً. وإذا ما تعددت الصور التي يتخذها كل حرف فإن الأمر يتعقد والتكلفة تزيد، فالفرق بعيد بين تعليم صورة واحدة لكل حرف وتعلم مجموعة كبيرة من صور يجاوز عددها المئة أو المئتين أو الأربع مئة. ولذا فقد كانت التجربة هادفة إلى تعرف مدى تقبل الكبار للحروف الميسرة في محو الأمية ومدى الجدوى الزمنية والاقتصادية والتعليمية من استخدام الحروف الميسرة. وقد اتضح من التجربة ومن إعدادها إمكان محو الأمية عن طريق الكتب المطبوعة بالحروف الموحدة الميسرة في نحو خمسة أشهر دراسية، ينتقل بعدها الدارس دون صعوبة إلى قراءة الكتب المطبوعة بالحروف العادية.

يتعرض الحرف العربي في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في الدول العربية وفي العالم الإسلامي منذ أواخر القرن التاسع عشر لاتهام أنه يضم رموزاً محدودة لا تفي بالتعبير عن الوحدات الصوتية في اللغات المحلية والوطنية. قيل هذا بالنسبة لتدوين الحركات وقيل هذا بالنسبة لبعض الصوامت، وأدى هذا الوضع إلى الدعوة في مناطق من الدول العربية لتدوين لغاتها المحلية والوطنية بالحرف اللاتيني. وأسهمت القوى الغربية في الدعوة إلى الحرف اللاتيني ودعمته بالوسائل التكنولوجية. ومع هذا كله فقد أدى الصراع من أجل الحرف العربي إلى نجاح كامل في السودان. وتضم دولة السودان نحو مئة لغة محلية، أكثرها في الإقليم الجنوبي. وعلى الرغم من مقاومة السلطة البريطانية والمبشرين للحرف العربي في جنوب

السودان فقد نجحت المحاولات المخلصة التي بذلت في سبيل تدوين لغات جنوب السودان بالحرف العربي وأصبحت كتب التعليم الابتدائي المؤلفة لتعليم القراءة والكتابة لأبناء هذه اللغات المحلية تكتب منذ سنة ١٩٦٠ بالخط العربي. ويتضح مدى النجاح الذي تحقّق بالنسبة للغات السودان إذا قورن بما حدث في الصومال عندما أعلنت الدول سنة ١٩٧٢ كتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية.

ولا تقتصر المشكلة على السودان والصومال، فهناك لغات محلية في جيبوتي وعدة لغات بربرية في دول المغرب واللغة المهرية في اليمن الجنوبية، وتدوين هذه اللغات بالحرف العربي - كما حدث على مدى القرون بالنسبة للغة الكردية وكما يحدث اليوم بالنسبة للغات جنوب السودان - يحقق تكامل هذه الجماعات اللغوية في إطار دولها وفي إطار المجموعة العربية. ولا تقتصر أهمية تيسير الكتابة العربية على الدول العربية، فالخط العربي وسيلة التدوين - أيضاً - للغات كثيرة في العالم الإسلامي، منها - مثلاً - كل اللغات المستخدمة في باكستان، والحفاظ على الخط العربي وتيسيره وتنميته من القضايا الأساسية في هذه الدول الإسلامية. وتهدف محاولات تيسير الكتابة العربية إلى الإفادة الرشيدة من إمكانات هذه الكتابة وجعلها وافية بالمتطلبات اللغوية في تدوين هذه اللغات على نحو من السرعة والدقة والفاعلية.

### سادساً: وسائل الاتصال ودورها في التنمية اللغوية:

وسائل الاتصال الجماهيري لها دور كبير في إطار التنمية اللغوية، ومن الممكن أن تصبح الرسائل الإعلامية كفيلاً بالنهوض بالمستوى اللغوي العام في الدول العربية على نحو يحقق الوحدة اللغوية في إطار من المعاصرة

والدقة. وهذا الدور المنشود هو واقع قائم بالفعل في مجتمعات متقدمة أصبح فيها وسائل الاتصال تقوم مع المؤسسات التعليمية بالدور الأكبر في تشكيل ملامح الحياة اللغوية. ترجع أهمية وسائل الاتصال في الحياة اللغوية إلى عدة عوامل. منها طبيعة اللغة ووظيفتها، فاللغة في المقام الأول ظاهرة منطوقة مسموعة، والإذاعة تقدم اللغة منطوقة مسموعة، واللغة أهم نظم الاتصال. ويتيح استخدام الصورة في وسائل الإعلام المرئية أن تقدم الرسائل الإعلامية بعناصرها اللغوية وغير اللغوية. إن تعبيرات الوجه والحركة والإيماءات ونغمة الصوت والوضع الذي يتخذه المتكلم والأشياء المادية المشاهدة في الموقف عناصر غير لغوية، ولها دور كبير في إيضاح العناصر اللغوية. واللغة ضرب من ضروب السلوك، وليست مجرد معرفة. ووسائل الاتصال تؤثر في تكوين هذا السلوك اللغوي تأثيراً بعيداً. ومن شأن تكرار هذا السلوك اللغوي على النحو المكثف الذي تقدمه وسائل الاتصال أن يحدث له ترسيخ عند الجماهير يفوق المؤثرات الأخرى في الحياة اللغوية. واللغة تؤدي وظائفها للمجتمع في مواقف، وتقدمها وسائل الإعلام في مواقف أيضاً.

أدركت المؤتمرات التي عقدت على المستوى العربي في السنوات الماضية لبحث قضية تعليم اللغة العربية أهمية الدور اللغوي لوسائل الإعلام. وبالرغم من الدور الذي تضطلع به في خدمة اللغة العربية فإن بعض ماتقدمه يتعارض مع ماتبنيه المدرسة وذلك بما تشيع من العامية في الصحافة والمجلة والإذاعة المسموعة والمرئية وأن الجو العام في بعض البلاد العربية يتسامح في الحفاظ على اللغة العربية. ومن هنا ضرورة إيجاد سياسة إعلامية تخدم اللغة السليمة في كل ما ينشر سواء أكان ذلك باللفظة المسموعة أم المقروءة،



وتحري الصحة اللغوية في كل ما تقدمه من مادة.

هذه التوصيات تتكرر أيضاً في مؤتمرات التعريب ومؤتمرات المجمع اللغوية العربية. وكلها تؤكد رؤية اللغويين والتربويين والمجمعين للدور اللغوي لوسائل الاتصال الجماهيري. وهذه التوصيات ليست من قبيل نقل المسؤولية، وإنما تصدر عن وعي كامل بأن الجماهير من المستمعين والمشاهدين أصبحت خاضعة لهذا الغزو التكنولوجي القوي والذي يؤثر في إعطاء الحياة اللغوية طابعاً جديداً. فإذا أضفنا إلى ذلك أن التلفزيون بصفة خاصة يقدم في كثير من برامجهم أنماطاً من السلوك الاجتماعي ومنه السلوك اللغوي أدركنا حجم أثر وسائل الاتصال في الحياة اللغوية. لقد أدى تعدد وسائل الاتصال إلى نوع من المنافسة دون شك، مع هذا يتكامل تأثيرها في حالات كثيرة. لقد أصبح تحويل الرواية إلى فيلم أمراً مألوفاً. والإفادة من التراث في عمل مسلسلات للأطفال يقرب الأطفال من التراث المطبوع، والتعليقات المنشورة في صحيفة مطبوعة عن برامج التلفزيون تنبه القارئ إلى هذه البرامج. ولهذا فإن وسائل الاتصال حقيقة معاصرة، وسعة انتشارها وتكامل تأثيرها يجعلان لها دوراً كبيراً في الحياة اللغوية المعاصرة. وهناك عامل ثالث يجعل لوسائل الاتصال الجماهيري أثراً بعيداً في الحياة اللغوية. وهذا العامل هو تعدد الوظائف اللغوية في وسائل الاتصال. إن اللغة تستخدم في وسائل الاتصال تارة للإخبار المباشر أو الإبلاغ وتارة للتسلية والترفيه. وتستخدم أيضاً لنقل التراث الاجتماعي والثقافي عبر الأجيال ولتقديم صور وقضايا واقعية، كما تستخدم اللغة أيضاً في التوعية الهادفة وفي الإعلان. وهذه وظائف متعددة تحمل بالضرورة صيغاً لغوية مختلفة وعدم تمييز المستويات اللغوية لقطاعات البرامج لا يؤدي إلى الإفادة الرشيدة من

إمكانات اللغة. إن معرفة الجمهور المستهدف والقدرة اللغوية الحقيقية عنده، كلاهما شرط أساسي للوصول إلى الفاعلية في الإعلام. ولهذا فمن الطبيعي أن يختلف الاستخدام اللغوي في برامج الأطفال عن الاستخدام اللغوي في برامج اللقاءات أو الحوار، وكلاهما مختلف عن البرامج الرياضية وبرامج المرأة. ومع هذا فلا يجوز أن نبالغ في تقدير هذا التنوع، فهو تنوع يتضح في الاختيار المعجمي والتراكيب المناسبة، ولكنه لا يجوز أن يكون بنظم لغوية متناقضة. فوسائل الإعلام في هذا كله ليست مهمتها أن تقوم من الناحية اللغوية بمهمة تسجيل اللهجات المختلفة، ولكنها في المقام الأول تقدم النمط اللغوي المنشود في تنوعاته المختلفة، وعليها من هذا الجانب واجب كبير.

إن ترسيخ هذا الاتجاه والتوعية به وصقله تعد ضرورات معاصرة من أجل تشكيل الحياة اللغوية بالطابع المنشود. لن يبقى الإنتاج البرامجي زمنياً طويلاً مرتبطاً باللهجات. فقد تعددت مواقع الإنتاج، والمستقبل القريب كفيل بجعل مراكز إنتاج البرامج تتعدد في العواصم العربية كلها. ومن المتوقع أن يزداد عدد العاملين في إنتاج البرامج في الأقطار المختلفة. وهنا تكون الإفادة من اللغة الفصيحة الموحدة شرطاً ضرورياً للانتشار الواسع على المستوى العربي، خاصة ونحن على أبواب مرحلة جديدة لتبادل البرامج بين كل الأقطار العربية. إن وسائل الاتصال تعطي إمكانات هائلة للتنمية اللغوية، وهذا الموقف يطرح على اللغويين والإعلاميين مهام جديدة.

إن عصر وسائل الاتصال حول اتجاه التغيير من الانقسام الدائم إلى التقنين المطرد. الطباعة أقدم وسائل الاتصال في العصر الحديث، لقد سادت في المطبوعات المبكرة في أوروبا لهجات كثيرة ومتعددة، ولكن الموقف تحول شيئاً فشيئاً، وزادت كمية المطبوعات المدونة باللغة المشتركة في داخل المنطقة

اللغوية الواحدة. وقلت طباعة الكتب باللغات المحلية شيئاً فشيئاً. وكان التعليم عاملاً مهماً في نشر اللغة المشتركة. وفي المنطقة العربية حدث في الأعوام المئة الماضية تحول من طباعة النصوص المسرحية باللهجة المحلية إلى طباعتها باللغة الفصحى، وعندما ترجم محمد عثمان جلال مسرحيات مولير في القرن الماضي ترجمها إلى اللهجة المصرية. ولم يكن أحد يتصور آنذاك إمكان وجود أداء مسرحي بالعربية الفصحى، ولكن الترجمة الأخيرة لمسرحيات مولير الصادرة بالكويت قد كتبت باللغة الفصحى كما هي الحال في المسرحيات الصادرة في سلسلة المسرح العالمي. لم يكن الأداء المسرحي باللغة الفصحى في القرن الماضي متصوراً أو ممكناً، ولكننا نسعد من حين لآخر بأداء مسرحي عربي فصيح. فالتغير اللغوي واقع عندنا، وهو تغير في اتجاه التحلي عن العناصر المغرقة في المحلية وسيادة المكونات المشتركة. ولوسائل الإعلام دور كبير في هذا التحول، لقد تكونت كلمات كثيرة دالة على مفاهيم معاصرة ومنجزات حضارية نشرت الصحف عنها وعرفها المستمع من الإذاعة فاستقرت على المستوى العربي. كانت الصحف العربية في أواخر القرن التاسع عشر تتحدث عن الجامعة قبل إنشاء أقدم الجامعات العربية الحديثة بنحو جيلين، ونحن الآن نتحدث عن المسرح أو عن الإذاعة وعن المجلة وعن الجريدة، كما نتحدث أيضاً عن الصاروخ ومركبة الفضاء. وكلها كلمات دخلت الاستخدام العربي المعاصر بشكل موحد عن طريق وسائل الاتصال واستقرت بلا منافس من اللهجات المحلية. ولكن الأمر غير مقصور على المفردات، ولكنه يؤثر أيضاً في التراكيب، فالتحول حادث نحو استقرار الصيغ العربية المشتركة واختفاء الصيغ المحلية، ولعل مقارنة بسيطة بين الأجيال توضح ذلك. فلو التقى شاب عماني مع شاب مصري مع شاب مغربي فإن التفاهم أسهل من التفاهم بين والد كل

منهم والآخر ولو التقى أجدادهم وتحدث كل منهم باللهجة المحلية لكان التفاهم صعباً أو متعذراً. فالتحول اللغوي حقيقة قائمة يدعمه انتشار التعليم وسهولة المواصلات ، وتقوم وسائل الإعلام بدور كبير في ذلك.

إن التنمية اللغوية ليست مجرد قرار سياسي يتخذ بدقة وعن وعي، فالمشكلات اللغوية العامة والجزئية كثيرة، ويتطلب القيام بها تكامل العمل في المؤسسات المعنية المختلفة. ويتطلب أيضاً وجود مؤسسات مسؤولة لتقديم المشورة في القضايا اللغوية. وهناك دول كثيرة تضع للتخطيط اللغوي داخل الدولة عدة مؤسسات تعمل في إطار واضح. ومن الضروري أن يوجد على مستوى الدولة مؤسسة مسؤولة عن مشكلات التطبيق في القضايا اللغوية، وتكون على ارتباط وثيق بالإذاعة والتلفزيون والصحافة ووكالات الأنباء وجمعيات الآداب والفنون ونقابات المعلمين والكتاب والصحفيين والمثليين. القرارات اللغوية والاستشارات المختلفة فيقوم بها لغويون متفرغون. أما المجالس اللغوية في دول العالم المختلفة فتضم صفوة من العلماء، وهم يضعون الأصول العامة لتنمية المفردات ويصنعون المعجمات ، ولكن تحويل هذه القرارات المعجمية إلى واقع عملي والتطبيق المنظم لهذه الأسس يتطلبان تكامل المؤسسات المعنية داخل الدولة أو في داخل المجموعة اللغوية الواحدة.

لقد أدركت الإذاعات العربية أهمية الجانب اللغوي في عملها، وكانت صاحبة دور ريادي في تدريب العاملين بها من المذيعين تدريباً لغوياً كان له أثر واضح. إن الإعداد اللغوي للمذيعين يعني - في المقام الأول - تدريبهم على نطق الأصوات اللغوية والإلقاء مع معالجة بعض القضايا النحوية والمعجمية التي تسبب مشكلات في الأداء اللغوي. لقد أصبحت



ثمرة هذا الإعداد اللغوي واضحة وطيبة، على الرغم من بعض المآخذ العابرة في النحو أو في نطق أسماء الأعلام الأجنبية. أما الممثلون فقد أصبحوا - في أكثر الدول العربية - يتخرجون في معاهد متخصصة، وفيها بدأ الإعداد اللغوي يتخذ مكاناً واضحاً. ولم يعد من الصعب على كثير من الممثلين العرب الأداء اللغوي الفصيح، عندما يتطلب الموقف ذلك، وإن كان هذا الأمر لم يتخذ بعد طابع الشروع. ولكن الأداء العربي الفصيح يصبح ضرورة مستقبلية إذا أردنا للمشاهد الخليجي متابعة كاملة لمسرحية مغربية، وإذا أردنا للمشاهد الموريتاني والصومالي المتابعة الكاملة لمسرحية سورية. إن العناية بالتدريب اللغوي للممثلين، عناية قديمة في البيئات الأوربية، حتى إن أديب ألمانيا الكبير جوته وضع رسالة في ذلك في أوائل القرن التاسع عشر. وألفت كتب كثيرة هادفة إلى التدريب النطقي للممثلين حتى أصبح نطق الممثلين الألمان للغتهم الألمانية النطق المثالي المحتذى منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم.

هناك مجالات كبيرة للتنمية اللغوية عن طريق الإذاعة والتلفزيون. وإذا كانت الاتجاهات المعاصرة في تعليم اللغات تتطلب تعلم اللغة في مواقف ومن أجل الاتصال الفعال، فإن التعاون ضروري بين الإذاعة والتلفزيون من جانب ووزارات التربية ومراكز الإنتاج البرامجي من جانب آخر، من أجل إنتاج برامج كثيرة وهادفة إلى تنمية المهارات اللغوية العربية لدى التلاميذ والطلاب بشكل فعّال. وهكذا يتم تجاوز مشكلة كبيرة في تعليم اللغة العربية، ويتحقق ما طالب به التربويون واللغويون من ضرورة تجاوز الحديث عن اللغة إلى الحديث باللغة، ويتم أيضاً تجاوز الموقف التعليمي التقليدي في وجود معلم وسبورة إلى مواقف الحياة المختلفة. وهنا مجال كبير

للتنمية اللغوية، ونرجو ألا يطول بنا الانتظار حتى نجد سلاسل كثيرة متكاملة تقدم حقائق المعرفة المعاصرة والمعلومات الأساسية عن التاريخ الإسلامي والبلدان العربية وغير ذلك، لا تقتصر على الموضوعات التاريخية، ولكنها تعنى أيضاً بالموضوعات المعاصرة، وبلغة عربية سليمة إلى جانب برامج أخرى هادفة إلى تنمية المهارات اللغوية المختلفة. وكننا الطريقتين تكمل الأخرى فالبرامج الموضوعية باللغة الفصيحة تتكامل بالضرورة مع برامج أخرى هادفة إلى تنمية المهارات اللغوية.

لقد أدت النهضة التعليمية في الدول العربية مع الاستقلال الوطني إلى موقف جديد. زاد عدد المتعلمين، وزاد تأثير الكلمة المطبوعة، ثم ظهرت الإذاعات العربية المسموعة، ثم ظهر التلفزيون. وفي كل هذا زادت خبرة المتلقين، وزادت رغبتهم في المعلومات الجادة، وأصبحت الاهتمامات غير مقصورة على الأمور المحلية، وهنا قضايا جديدة تتجاوز المحلية إلى الإطار القومي والعالمي. وهي قضايا لا يمكن أن تستوعبها اللهجات المحلية بالشكل الذي يرضي طموحات المثقف العربي. ومن المناسب في التعبير عنها أن تكون باللغة الفصيحة المشتركة.

وفي كل هذا يتضح أن اتجاه التغيير اللغوي في عصر وسائل الاتصال هو اتجاه إلى الصيغ المشتركة والمصطلحات المشتركة. وإلى استخدام متزايد لتعبيرات ومصطلحات مستحدثة لم تعد غريبة عن الجماهير لكثرة ما قدمت في المؤثرات الإعلامية المتنوعة. وفي كل هذا فإن وسائل الاتصال من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود وضبط المصطلحات الأساسية وتوحيد ألفاظ الحضارة وتنميتها، ومن شأنها أيضاً أن تعمل على التوعية بأهمية اللغة الفصيحة في إطار الشعور العام بالانتماء الواحد للأمة العربية. وإلى جانب

ذلك كله فإن لوسائل الإعلام العربية دوراً كبيراً في دعم مكانة اللغة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في داخل الدول العربية. وهي المناطق التي تعيش فيها جماعات من مواطني الدول العربية لهم لغاتهم المحلية، أنهم راغبون رغبة جادة في إتقان العربية الفصيحة من أجل تكاملهم في دولهم في الحاضر والمستقبل، ولكن نشق عليهم إذا طالبناهم بأن يفهموا عدداً كبيراً من اللهجات العربية إلى جانب اللغة الفصيحة، فالبرامج ذات اللهجات المحلية تحدث إحباطاً شديداً يدمر الجهود الرسمية لتعليم العربية في هذه المناطق، ووسائل الإعلام دور كبير في التنمية اللغوية لهذه المناطق وفي دعم مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي. وليس من المقبول أن نعلم هؤلاء اللغة الفصحى فلا يستطيعون متابعة كثير مما يبث من برامج في بعض الدول العربية لأنها باللهجات المحلية. وهذه مشكلة تواجه الجهود العربية الكثيرة الهادفة إلى دعم مكانة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في داخل الدول العربية، وفي دول العالم الإسلامي، لا يمكن أن نفرض على هؤلاء وأولئك تعلم عشر لهجات عربية إلى جانب اللغة الفصحى، لكي يفهموا ماتبته الإذاعات العربية في حين أن لغة إنجليزية واحدة، تكاد تكون موحدة تتعلم وتسمع وتفهم.

إن قيام وسائل الاتصال الجماهيري بدورها الكبير في التنمية اللغوية يتطلب التعاون العربي في رسم سياسة لغوية عامة تعمل في إطارها المؤسسات الإعلامية والتعليمية وغيرها. والعمل كبير في قضايا التنمية اللغوية، وهذا عمل تاريخي كبير يتطلب خططاً وقرارات وبرامج في التهذيب اللغوي وبرامج تدريبية، ويتطلب توعية وتعديلاً للمواقف. ولهذا كله فإن قضية التنمية اللغوية تتطلب عملاً عربياً مشتركاً تتكامل فيه جهود

المؤسسات الإعلامية والتعليمية والمؤسسات الأخرى المعنية في الدول العربية. وذلك في إطار سياسة لغوية محددة الأهداف واضحة المسار متعددة المراحل. تفيد من الإمكانيات الكبيرة لوسائل الاتصال على نحو يحقق لأجيال المستقبل استمرار الوحدة اللغوية وتلبية المتطلبات المعاصرة في سهولة ويسر.

وفوق هذا كله ، فإن مستقبل اللغة العربية يرتبط أيضاً باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية. إن تقنيات المعلومات شهدت تحولاً هائلاً من أجل تيسير إتاحة المعلومات عبر الحدود والقارات والحضارات، وتقوم حالياً - في أغلب الحالات - على اللغة الإنجليزية. وهناك جهود أوربية قوية تتم لجعل الإتاحة - أيضاً - باللغات الأوربية الكبرى، وفي مقدمتها الألمانية والفرنسية والإسبانية. ولن يمر وقت طويل حتى نجد العربية قد اتخذت مكانها في شبكات المعلومات عبر الحدود. وهذا الأمر يتطلب جهوداً كثيرة على المستوى اللغوي وعلى مستوى تقنيات المعلومات وعلى مستوى دراسات المستفيدين حتى نجد الجامعات والوزارات والمجامع في الدول العربية تتعامل باللغة العربية. وتتكامل المعلومات المتاحة في كل المواقع لتكون أمام الباحث العربي باللغة العربية. وهذا أحد تحديات المستقبل القريب، لتكون العربية مع اللغات العالمية الكبرى بوصفها وسيلة لنقل المعلومات بالتقنيات المتقدمة.

### سابعاً: مكانة العربية بين اللغات الكبرى:

تذكر الإحصائيات المختلفة للتجمعات البشرية في دول العالم نحو ثلاثة آلاف لغة، وتختلف مستويات استخدام هذه اللغات اختلافاً بيناً. وأكثرها لغات محلية لا يمكن أن توصف وفق المعايير العلمية بأنها لغات



تعامل أو لغات عالمية. وهناك إحدى عشرة لغة يستخدمها أكثر من خمسين مليون نسمة. اللغة العربية في المكان الثامن من بين لغات العالم الكبرى باعتبار عدد أبنائها، وذلك بعد اللغات الصينية، والإنجليزية، والهندية - والأردية، والإسبانية، والروسية، والبنغالية، والبرتغالية.

اللغة العربية هي لغة منطقة كبيرة في العالم تمتد في النصف الشمالي من إفريقية والقسم الغربي من آسيا، وهي اللغة الرسمية في كل دول الجامعة العربية على الرغم من أنها ليست وحدها لغة التعامل العلمي في عدد من التخصصات في جامعات العالم العربي ومراكز البحوث بها، كما أن اللغة الفرنسية تنافسها في أكثر مجالات الحياة الثقافية والعلمية في دول المغرب العربي. ولكن اللغة العربية هي لغة نحو ١٤٠ مليوناً من بين أبناء دول الجامعة العربية البالغ عددهم نحو ١٦٠ مليوناً، ولا تشكل الجماعات غير العربية في كل أنحاء العالم العربي أكثر من ٢٠ مليون نسمة.

ويلاحظ في عدد كبير من المناطق التي توجد فيها جماعات لغوية غير عربية أن ضرباً من الازدواج اللغوي يسود إلى حد كبير، ولكنه ازدواج مقصور في أكثر الأحوال على الرجال فقط، فنصيبهم من التعليم العربي أكبر، والتعامل مع المجتمع الخارجي كان عدة قرون مقصوراً عليهم دون النساء. ولذا يعرف أكثر الرجال في هذه المناطق اللغة العربية بينما لا تعرف أكثر النساء لغة أخرى غير لغة المجتمع الصغير. في كل مناطق المشرق العربي تتعامل هذه الجماعات اللغوية غير العربية في مجالات الثقافة والحياة العامة باللغة العربية. وقد لاحظ الباحثون ازدياد انتشار العربية بين الأجيال الصاعدة مع انتشار التعليم، ثبت هذا أيضاً في جنوب السودان على الرغم من البطء الشديد في نشر التعليم هناك. إن المناطق الجبلية في عدة دول عربية \*

أقل معرفة بالعربية من مناطق السهول. اللغة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في الدول العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية واللغة الرسمية للدولة ولغة التعامل مع الجماعات الأخرى، وهنا يتضح الدور الكبير الذي يقوم به التعليم العربي في هذه المناطق لنشر اللغة وإتاحة الفرص الثقافية أمام أبنائها.

اللغة العربية في خارج دول الجامعة العربية هي أكثر اللغات الوطنية انتشاراً في إفريقية المعاصرة. والمقصود هنا بالعربية كل الصور المختلفة التي تدخل عادة ضمن اللهجات العربية، أو التي تعارف الباحثون على تسميتها بالعربية الفصحى أو ما يعرف بالعربية الهجين. ولكن اللغة العربية تستخدم أيضاً في المناطق غير العربية من دول الجامعة العربية في أمور الثقافة والحياة العامة كما تستخدم في أنحاء مختلفة في خارج دول الجامعة العربية. ويواجهنا في المنطقة الممتدة من السنغال ومالي إلى تشاد وجود العربية. تستخدم هناك في مناطق كثيرة، تارة في جزر لغوية عربية وتارة أخرى بوصفها لغة تعامل. العربية أكثر اللغات استخداماً في المنطقة الممتدة من تمبكتو (مالي) إلى كانم ووادي إلى غرب السودان. وأهم تجمع بشري يتعامل بالعربية في هذه المنطقة يوجد في تشاد ويعيش بها حوالي ١,٨٠٠,٠٠٠ ممن يستخدمون اللغة العربية بوصفها اللغة الأم، والعربية هي أكثر اللغات الوطنية انتشاراً في تشاد فأبناء اللغات الأخرى يكونون مجتمعين حوالي ٤٠٪ فقط من سكان تشاد. وهناك منطقة لم يرتبط تعريبها بالإسلام وهي جزيرة مالطة. وهي المنطقة الوحيدة التي تكاد تخلو من المسلمين. لغة الحديث فيها هي إحدى اللهجات العربية المغربية. لقد بدأ تعريب مالطة بفتحها، وتغيرت عليها الأنظمة الحاكمة، ولكنها احتفظت بلهجتها العربية في مجالات الحياة

اليومية المحدودة، والعربية في مالطة ليست لغة الدين، وليست لغة الثقافة، كما أنها ليست اللغة الرسمية. ومنذ إعلان المالطية لغة رسمية للبلاد اتخذت هذه اللغة ذات الأصل العربي مساراً جديداً.

إن استخدام العربية في بعض هذه المناطق مقصور على أمور الحياة اليومية البسيطة، وعلى العكس من هذا نجد الموقف اللغوي في الصومال حيث تسود في أمور الحياة اليومية البسيطة لغة وطنية واحدة هي اللغة الصومالية، ولكن أبناءها يتوسلون بالعربية في أمور الثقافة الجادة والتعليم. ويهتم الصوماليون اهتماماً كبيراً بتعليم اللغة العربية، ويجيد كثير منهم التعامل بها فتصبح بمثابة اللغة الأم الثانية. لقد ارتبط تعليم اللغة العربية في الصومال بحفظ القرآن الكريم وبالثقافة الدينية عموماً، وهذا شأن مناطق كثيرة في إفريقية. ولكن التقدم الحديث في الصومال لم يجعل من العربية لغة الدين فحسب بل جعل منها أيضاً لغة الثقافة ووسيلة الطموح نحو الحضارة الحديثة، إلى جانب الاهتمام بالإنجليزية أو الإيطالية.

وإلى جانب الأمثلة السابقة فهناك دول لا يشكل أبناء العربية فيها أغلبية سكانية ولكنهم يكونون أقليات لغوية. وهذا واضح في مناطق مختلفة من إفريقية وآسيا. وعلى وجه التحديد في مالي، والنيجر. وإلى جانب جزر لغوية محدودة في أذربكستان، توجد أقليات عربية اللغة في عدد من الدول الآسيوية، على الساحل الشرقي للخليج العربي وفي مناطق أخرى من إيران تعيش جماعات تتعامل باللغة العربية في حياتها الخاصة، وفي تركيا تعيش جماعة عربية في المنطقة الشرقية. وفي عصر الاتصالات ستكون كل هذه الجماعات من المستفيدين مما تقدمه الدول العربية من برامج، ومن شأن هذا الموقف الجديد جعل العربية الفصيحة مألوفة لدى ملايين في تلك الدول.

### ثامناً: اللغة العربية والأبعاد الحضارية المستقبلية:

إن ثمة اختلافاً كبيراً بين الاهتمام الأكاديمي بلغة من اللغات والاهتمام بها على المستوى الثقافي العام. يهتم اللغويون بكل لغات الأرض ولهجاتها، في إطار اهتمامات علمية متخصصة. وهذه الاهتمامات تختلف كل الاختلاف عن الدوافع إلى تعلم الإنسان الحديث للغة أجنبية. فهو يختارها من بين اللغات الكثيرة في العالم كي يعتمد عليها في حياته العلمية والثقافية، وهنا يكون الدافع إلى اختيار لغة من اللغات هو فائدة هذه اللغات بالنسبة للحياة المعاصرة. وليس المقصود بالفائدة مجرد اللقاء السريع والقدرة على التفاهم في أمور الحياة اليومية البسيطة فحسب، بل ترجع أهمية أية لغة من اللغات المعاصرة إلى ماتتيحه من معارف يحتاجها الإنسان. إن كل لغة ترتقي بأبنائها، والإنسان الحديث يتعلم اللغة الأجنبية لأنها تفيده في حياته، ولكنه لا يتعلمها بهدف دراسة تراثها القديم إلا إن كان متخصصاً فيه. فاللغة الإنجليزية أكثر اللغات الأجنبية انتشاراً، يتعلمها ملايين من البشر في كل قارات الأرض، وقلة من هؤلاء تتخصص بعد ذلك في اللغة الإنجليزية وآدابها. وشبيه بهذا الأمر الألمانية فكثير ممن يطلعون على البحوث العلمية وكتب العلوم بالألمانية لم يتعلموها إلا لذلك، ولا يهتم بتراثها منهم إلا من أراد التخصص فيه.

ولعل أوضح معيار بين لنا الأهمية الحضارية المعاصرة للغات الكبرى في عالمنا المعاصر هو عدد الكتب التي تصدر سنوياً بكل لغة من هذه اللغات. فالكتاب المدون باللغة الإنجليزية يدعم مكانتها عند غير أبنائها ويجعلها مفيدة، فقيمة أية لغة من اللغات المعاصرة لا تتحدد طبقاً لعدد أبنائها فحسب، بل هناك عوامل أخرى أهمها عدد الكتب التي تطبع بها سنوياً. أما



اللغة العربية فأبناؤها يمثلون ٣٪ من سكان العالم، ولكن مجموع الإنتاج العربي من الكتب يشكل نحو ١.١٪ من الإنتاج العالمي. ومعنى هذا أن الإنتاج العربي ينبغي أن يضاعف ثلاث مرات حتى يكون في مركز متناسب مع النسبة السكانية. إن قلة الإنتاج العربي من الكتب بالقياس إلى الإنتاج باللغات العالمية الأخرى ظاهرة ملحوظة، وتكرر هذه المشكلة بالنسبة للغات الدول النامية. فأعداد المتحدثين بكثير من لغاته هي مجرد أعداد ذات دلالة اقتصادية استهلاكية، وليس لها الثقل الحضاري اللائق لها، ومعنى هذا أن مستقبل العربية كلغة دولية ذات قيمة حضارية مرتبط بزيادة الكتب التي تصدر بها في كل فروع المعرفة المعاصرة.

إن قلة الإنتاج العربي من الكتب يلاحظ أيضاً في قلة ما يترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. وإذا كانت الدول التي تقدمت مراحل أكثر تهتم بالترجمة فما أحوج المنطقة العربية إلى مزيد من الترجمات في كل فروع المعرفة المتقدمة. وتتضح المشكلة من الجانب الآخر للترجمة، وذلك أن ترجمات الكتاب العربي إلى اللغات الأخرى محدودة. فإذا كان بعض الشرقيين والمستشرقين قد ترجموا مئات قليلة من الكتب العربية على مدى عدة قرون، الترجمة هنا قد تمت في إطار تخصصي. ولكن ثمة فرقاً بين ترجمة تعد للعلماء المتخصصين وبين ترجمة تتجه إلى المثقف الأجنبي في محاولة لإثراء معارفه بكتب جديدة في كل فروع المعرفة. وفي السنوات الماضية اتضح أن ٧٥٪ من الترجمات المنشورة في العالم هي من اللغات الإنجليزية (٣٧٪)، والفرنسية (١٤٪) والألمانية (١١,٥٪) والروسية (٩,٥٪) والإسبانية (٣٪ فقط). ولم تتخذ الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى شكل الرافد الثقافي القومي الذي يثري تيار الثقافة العالمية بشكل مؤثر.

إن أكثر ما يعوق انتشار الكتاب العربي في داخل الأقطار العربية ومن أن يأخذ مكانه المناسب في الإطار العالمي هي الأمية، فقلة عدد القراء تعني قلة عدد النسخ، كما تعني في الوقت نفسه قلة عدد المؤلفين، فإذا كانت نسبة عدد الذين يقرؤون تشكل حوالي ٥٠٪ من سكان العالم فإن هذه النسبة مختلفة من بيئة لغوية لأخرى، ومن ثم تصبح بعض الأرقام الكبرى لأبناء اللغات غير دالة على عدد القراء. ويرتبط مستقبل العربية من هذا الجانب بحركة لغوية وتعليمية وثقافية قومية، تجعل الكتاب العربي قوياً في الوطن العربي مؤثراً في الفكر العالمي.

#### تاسعاً: العربية في المنظمات الدولية:

اللغة العربية لها وجودها بوصفها لغة عمل في عدد من المنظمات الدولية، إلى جانب كونها لغة العمل في جامعة الدول العربية، وهي إحدى لغات العمل في منظمة الوحدة الإفريقية ثم في منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي سنة ١٩٦٩ كان دخول اللغة العربية إلى اليونسكو معركة لغوية حضارية، كانت الدول العربية قد قدمت الاقتراح، فكتبت الأمانة العامة لليونسكو تحفظات ثلاثة مانعة، تداولت الدول الأعضاء مذكرة اليونسكو، وقد حولت الدول العربية إلى جامعاتها أمر بحث هذه المذكرة، فأعددت بحثاً يناقش هذه الاعتراضات. الاعتراض الأول كان بأن الترجمة من أية لغة من لغات العمل في اليونسكو إلى العربية يأخذ وقتاً أطول، الأمر الذي يعطل العمل. وكان الرد على هذا الاعتراض ببحث البنية المقطعية للغة العربية، فسرعة الترجمة الفورية من الناحية الموضوعية - أي مالا يختلف باختلاف قدرات الأفراد - تحسب على أساس البنية المقطعية للغة، ومعنى هذا أن اللغة التي تكثر فيها المقاطع الطويلة أو ذات المقاطع الكثيرة تحتاج الترجمة الشفوية إليها

وقتماً أطول من اللغات ذات المقاطع الأقل عدداً أو الأقل طولاً، وتم بحث هذا الجانب تفصيلاً وبالتطبيق على أبنية الأفعال وأبنية الأسماء والأدوات مع مقابلاتها بالإنجليزية والفرنسية وثبت أن اللغة العربية لا تتطلب وقتاً أطول مما تحتاجه الإنجليزية أو الفرنسية. الاعتراض الثاني كان بأن الخط العربي يتطلب مساحة كبيرة تعادل أو تزيد قليلاً عن النص الروسي. وكان الرد على هذا الاعتراض ببيان نظام الكتابة العربية وعدم تدوين الحركات القصار، الأمر الذي يجعل الكتابة العربية كتابة موجزة، وبتطبيق حسابي بسيط للضربات اللازمة في الكتابة على الآلة الكاتبة لصفحات من مصطلحات المؤتمرات باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، ثبت من عينة كبيرة أننا لو جعلنا الإنجليزية هي المعيار فإن كتابة المصطلحات بالفرنسية تأخذ حيزاً يزيد ٥٪، أما المصطلحات العربية فلا تأخذ سوى ٦٧٪ من الحيز الذي تحتاجه المصطلحات الإنجليزية. أما الاعتراض الثالث فكان يتضمن القول بندرة المترجمين المتخصصين في العربية من أبناء اللغات الأخرى، وهؤلاء هم الذين يقومون عادة بالترجمة من اللغة العربية إلى لغاتهم. وهذه نقطة دقيقة، وذلك أن أكثر العاملين في الترجمة التحريرية، ولم يؤهلوا للترجمة الفورية. ومع هذا فقد كان الرد على هذا الاعتراض بحقيقة واضحة، وهي كثرة أقسام اللغات الأوربية والترجمة في الجامعات العربية، الأمر الذي يمكن اليونسكو من الحصول في سهولة على مترجمين فوريين. ومن هنا فإن الاهتمام المطرد بتكوين المترجمين في الجامعات العربية له أهمية مستقبلية من أجل تلبية المتطلبات الدولية.

لقد دخلت اللغة العربية بعد ذلك عدداً كبيراً من منظمات الأمم المتحدة، وتشتمل الخدمات اللغوية في هذه المنظمات الشفوية على نوعين من الخدمات، بعضها يتعلق بالاجتماعات (مثل الترجمة الشفوية، صياغة المحاضر، ومراجعتها، ترجمة الوثائق الأساسية، ترجمة ورقات العمل، ترجمة

المحاضر، طبع الوثائق وتوزيعها). وبعضها الآخر يتصل بدورة العمل (مثل ترجمة المنشورات، ترجمة المراسلات، ترجمة الأوراق الإدارية، ترجمة الوثائق). ويتفاوت مدى استخدام اللغة العربية في داخل كل منظمة، قد يقتصر على الترجمة الشفوية في المؤتمرات وقد يمتد ليشتمل على كل الوثائق، وتنفيذ هذه الأعمال في المستقبل يحتاج إلى عدد متزايد من المترجمين الفوريين العرب على مستوى رفيع حتى يتحقق الاستخدام الكامل للعربية في المنظمات الدولية لئلا يكون استخدام العربية فيها محدوداً وعلى نحو انتقائي، بأن تستخدم حيناً وتترك حيناً آخر.

إن الخدمات اللغوية في الأمم المتحدة لا تتعامل مع العربية إلا بوصفها لغة موحدة لهذه المجموعة الكبيرة من الدول، لهذا فالمصطلحات المحلية لا تفيد في هذا الصدد، ولهذا تهتم إدارة الخدمات اللغوية بتوحيد المصطلحات العربية في عدد من المجالات المختارة، وهنا نجد العلاقة وثيقة بين مكانة العربية في الأمم المتحدة وتنمية المصطلحات وتوحيدها في الدول العربية. والأمل كبير في أن تستمر اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين لغة عمل في منظمات دولية متعددة. ويتطلب ذلك ضبط المصطلحات، وتكوين المترجمين المتميزين، والتمسك بالعربية في المواقف التي تتيح ذلك. وبذلك تتحقق للعربية مكانة مستقرة بين لغات العمل في المنظمات الدولية، وهذه المكانة يمكن أن تجاوز في المستقبل حدود تمثيل الدول العربية إلى دول أخرى في إفريقية وآسيا.

#### عاشراً: قضية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في مناطق من آسيا وإفريقية وجنوب شرق أوروبا لا تسودها اللغة العربية. أما



رجال الدين وأصحاب الثقافة الدينية فعليهم أن يقرؤوا بعض الكتب بالعربية، ومن أراد منهم التعمق في فهمها استعان على ذلك بدراسة شيء من العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة، ويتضح هذا بدرجات متفاوتة في إيران وشبه القارة الهندية وماليزيا وأندونيسيا ونيجريا الشمالية وتنزانيا. وتعد نيجريا من أهم المناطق الإسلامية غير العربية في إفريقيا، ففي نيجريا الشمالية أكثرية إسلامية. وشبهه بهذا حال العربية في تنزانيا وكينيا وأوغندا، المسلمون فيها من أصول هندية وإفريقية، وقلة منهم من أصول يمنية وعمانية. وهناك تعليم ديني يقتصر في أدنى مراحل على العبادات.

والمشكلة التي تواجه اللغة العربية في كل هذه المناطق أنها مرتبطة بالماضي وتعلم كأداة لفهم الدين ولذا تهتم بها المعاهد الإسلامية. أما التعليم الحديث فلا يهتم في أكثر هذه المناطق بتعليم العربية. هناك مسلمون عرفوا الإسلام عن طريق الترجمة السواحلية للقرآن الكريم، ولذا ارتبط الإسلام عندهم بالطريقة الأحمدية وباللغة السواحلية في المقام الأول.

وهناك تجمعات إسلامية غير عربية لديها رغبة في تعلم العربية، ولم تنح لها إمكانات لذلك. ومن المتوقع أن يؤدي الموقف الجديد في عدد كبير من الدول الإفريقية إلى معرفة متزايدة بالعربية بوصفها لغة أجنبية. المسلمون في اتحاد جنوب إفريقية مثلاً يكونون مجموعة إثنية متميزة، أكثر أصولهم من جزر الملايو وأندونيسيا. يتحدث هؤلاء المسلمون في حياتهم اليومية لغة الأفريكاز، التي تطورت عن اللهجة الجرمانية التي حملها المستوطنون الفلاحون معهم إلى جنوب إفريقية. ويلاحظ أن الاستخدام اللغوي لغة الأفريكاز عند المسلمين في جنوب إفريقية تأثر ببعض العناصر العربية، ولكنهم لم يأخذوها عن العربية مباشرة، بل دخلت عن طريق لغة الملايو. ومنذ عدة حقب قل استخدام هؤلاء المسلمين للغة الملايو وحلت محلها لغة الأفريكاز، \*

كانوا من قبلُ يطبعون كتبهم الدينية الملايوية المترجمة عن العربية، وهناك كتب كثيرة طبع فيها النصان متوازيين وبالخط العربي. واليوم أحلوا لغة الافريكاتز محل الملايوية، وأخذوا يكتبون الافريكاتز بالحروف العربية، فهؤلاء المسلمون كانوا يكتبون بالخط العربي ولكنهم لا يكادون يعرفون من العربية إلا ما دخل منها من المصطلحات الدينية الإسلامية.

كانت العربية تدرس في الدول الإسلامية المختلفة في خارج المنطقة اللغوية العربية، كما درست في أوروبا المسيحية بوصفها لغة تراث ثقافي. كان المتخصصون يهتمون بها فيخصصون لها أكثر وقتهم. ولكن التقدم الذي حدث في مناهج تعليم اللغات في القرن العشرين، وبصفة خاصة مع ظهور علم اللغة التطبيقي بعد الحرب العالمية الثانية طرح قضايا جديدة بشأن مناهج تعليم اللغات الحديثة. وفي نفس الوقت أخذ الاهتمام بالعربية يتغير شيئاً فشيئاً، فبدأ في قارات العالم المختلفة اهتمام جديد باللغة العربية، لقد أرادوا تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة منطقة كبيرة في إفريقية وآسيا وباعتبارها لغة منطقة آخذة في النمو الحضاري، ودفع هذا الاهتمام إلى تنظيم دراسات مختلفة للغة العربية في عدد كبير من البلدان الأوروبية والأمريكية والآسيوية وأستراليا.

الاهتمام الجديد بالعربية يهدف إلى تعليم اللغة العربية الجارية بوصفها وسيلة التفاهم الأولي في العالم العربي كله وأداة التعبير عن الآراء والترجمة عن الأفكار، وقد حددها البعض بأنها لغة الصحف والإذاعات العربية ولغة الأدب الحديث. ويختلف هذا الهدف عن دراسة العربية بهدف المقارنات السامية أو دراسة الحضارة الإسلامية، كما يختلف أيضاً عن المعرفة باللهجات. إن تعليم اللغة العربية ينبغي أن تكون غايته أن يستطيع الدارس

الأجنبي فهم روح الأمة العربية فهماً يؤدي إلى الشعور بالموودة. أما إذا كنا نريد من تعليم اللغة العربية للأجانب مجرد إعانته على قضاء حاجته الضرورية طوال إقامته في بلد عربي فإن الأمر غير محتاج إلى كل هذا العناء، إذ يستطيع هذا الأجنبي أن يقضي حاجاته عن طريق اللغة الأوربية. وفي هذا إشارة إلى التيار الجديد الذي يعنى بدراسة اللغة العربية في استخدامها الحديث باعتبارها لغة حية.

هناك عدة مؤسسات تعليمية تعنى باللغة العربية تدريساً وبحثاً، وأكثر هذه المؤسسات تهتم باللغة العربية على المستوى الجامعي، وهناك بدايات في عدة دول لتعليم العربية في مرحلة التعليم قبل الجامعي، فضلاً عن جهود أخرى لتعليم العربية في خارج السلم التعليمي الرسمي.

يوجد في عدد من الدول الأوربية مدارس تعلم العربية في إطار المقررات الرسمية. ويدرس مادة اللغة العربية تلاميذ من أصل عربي على أيدي مدرسين، أصولهم من دول المغرب العربي. وهناك تجربة جديدة تتم في بعض المدارس لتعليم العربية لأطفال من أصول أوربية إلى جانب وافدين من دول المغرب. وتعلم اللغة العربية حالياً في هذه المدارس في مناطق تسكنها جماعات كبيرة العدد من أبناء دول المغرب. والعربية مادة من مواد امتحان القبول لجامعات لندن واكسفورد وكمبردج. ويتقدم لهذا الامتحان طلاب ينتمون إلى جنسيات مختلفة، ويختار اللغة العربية طلاب مسلمون بعضهم من غير العرب. ولكن المنافسة بين اللغات الأوربية المختلفة والعربية جعلت الإقبال على العربية مقصوراً على جماعات من المسلمين. وهناك عدة دول أوربية يسمح نظامها التعليمي بمواد إضافية وتترك للمدرسة حرية اختيارها، ومن المتوقع أن يقوى هذا الاتجاه إذا ماتوافرت له إمكانات التعاون

العربي. ومن الضروري دعم هذا الاتجاه في التعاون العربي مع دول الغرب، وذلك بإعداد المدرسين والمعاونة في المواد التعليمية.

أما الدراسات العربية في الجامعات الغربية، فإنها ذات تاريخ طويل على مدى عدة قرون. لقد نشأت هذه الدراسات في إطار الأهداف التبشيرية والاهتمامات اللاهوتية، ثم تطورت في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر إلى بحوث في الحضارة الإسلامية، ودرست العربية في إطار اللغات السامية. وإلى جانب هذه الاتجاهات فإن الاهتمامات العملية والطموحات السياسية والاقتصادية والمغامرات العسكرية جعلت من الضروري أن تعلم اللهجات العربية الحديثة في الأقسام المعنية في الدول الأوروبية وفي أمريكا بعد ذلك. وكل هذه الاتجاهات لها آثارها الممتدة إلى اليوم في تحديد مكان الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية والأمريكية. إن مشكلة تعليم العربية في جامعات أوروبا وأمريكا ليست مجرد مشكلة تعليمية لغوية، فهي تتجاوز ذلك إلى المحتوى الحضاري والموقف الذي تتخذه هذه الدراسات من القضايا العربية. وهو موقف يتسم في أكثر الأحوال بالتحفظ الشديد. ولذا فإن الإفادة من المناخ الجديد للحوار العربي الأوربي والعلاقات العربية مع دول العالم الجديد ينبغي أن تعمل لجعل الدراسات العربية في أوروبا تتخذ موقفاً معتدلاً وموضوعياً من حضارة العرب ومشكلاتهم المعاصرة. وهناك بدايات جديدة لتطوير هذه الدراسات في إطار التعاون المتزايد مع الجامعات العربية، من أجل تشكيل مستقبل أفضل يقوم على التفاهم المتبادل ولقاء الثقافات. ومن شأن دعم الموقف الجديد أن تكون العربية رافداً متجدداً ومهماً في القرن الحادي والعشرين.

\* \* \*